

وكم من نازل من السماوات وعارج فيها من مجاهيل عندنا، ومهما عرفنا طرفاً منها نجعل أقدارها وأعمارها وأسرارها؟!
فيا لآية قصيرة واحدة من إحاطة لحركات الكائنات في لمسة واحدة تتجلى فيها مملكة الوجود فوق مدّ البصائر والأبصار وحدّ العلوم والأفكار! أفبعد هذه القدرة الجامعة والحیطة اللامعة يعني ربنا عن إعادتنا نحن الهُز إلى الصغار الصغار؟:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْرَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾^(١):

قالة من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالساعة ﴿لَا تَأْتِيَنَّ السَّاعَةَ﴾ وحتى لو أتت غيرنا حيث السلب يخصهم فيما قالوا!.

والجواب بصورة ادعاء دون برهان وفي سيرة أقوى برهان ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ لتأتيكم الساعة كما تأتي غيركم ﴿وَرَبِّي﴾ فملاح التربية الإلهية الخاصة في دليل نبوتي، وإتيان الساعة أصل من أصولها، ف﴿وَرَبِّي﴾ هنا كما في قالة المرسلين في يس ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا إِنَّا إِلَيْكُم مَّرْسَلُونَ﴾^(١) فلأن النبوة المحمدية تفوق النبوات، محلقة على كافة النبيين، ففائقة التربية الإلهية فيه ناصعة، فهو بنفسه دليل للمبدأ والمعاد عبر الوحي بواقعه وظاهره.

﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ ومن هو ربي؟ ﴿عَلِيمِ الْغَيْبِ﴾ والشهادة فكل شيء عنده شهادة ﴿لَا يُعْرَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾... ولا يغرب.. وقضية الحیطة العلمية هي العلم الشامل بكل ما يحصل من تقوى وطغوى أفبعد علمه وقدرته وحكمته سوف لا يجازي الثقافة والطغاة، وهو جهل أم عجز أم ظلم، وما الله بظلام للعبيد!

(١) سورة يس، الآية: ١٦.

أم لأن الأجساد بأرواحها تفضل في الأرض فلا يمكن جمعها فلا جمع ولا يوم جمع؟ ﴿وَقَالُوا أءَذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَأَنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ . . . قُلْ يَنُوفِكُمْ مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ . . .﴾ (١) ! ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزَبُ عَنْهُ﴾ . . . مهما عزب عن علمكم، فلا عزب عن قدرته ولا عن علمه ولا عن حكمته ﴿لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (٢) .

وليس فقط: لا يعزب عن علمه «كبيرة» بل ولا ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ .

ولأن آية الميثقال تحلّق على كل كائن أياً كان سوى ذاته تعالى وتقدس إذ ليس مثقالاً ولا ذرة ولا هو في السماوات ولا في الأرض، فليكن لكل كائن مثقال وهو وزن يقتضي حجماً من مادة ومادي، وهو الطاقة المنبثقة عن المادة، فلا مجرد - إذاً - سوى الله!

ثم ﴿ذَرَّةٍ﴾ وأصغر منها وأكبر، ليست لتعني - فيما تعنيه - الخارج عن حدود المادة، حيث المحور في مثلث «ذرة - أصغر منها - وأكبر منها» هو المادة، فلا كائن - إذاً - سوى الله إلا في نطاق هذا المثلث دون إبقاء!

ومهما كانت الذرة معروفة قبل رده من الزمن أنها أصغر الأجسام المرئية، فقد كشفت البشرية عن ذرات هي أصغر منها بكثير، ومن ثم بعد تحطيم الذرة تعرفت إلى أصغر من ذرة وهو جزئياتها الإلكترونية والبروتونية والنيترونية والبوزيترونية أماهيه، ولما يصل العلم - ولن، - إلى المادة الأم، التي منها الذرات والجزئيات والعناصر كلها - ثم لا أجزاء لنفسها تتجزأ إلا تجزئة عن كونها إلى فناء مطلق وانعدام مطبق (٣) .

(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٠، ١١ .

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩ .

(٣) راجع تفسير الآية ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رُوحَيْنِ﴾ [الذَّارِيَاتُ: ٤٩] في الجزء (٢٦) من الفرقان و«حوار بين الإلهيين والماديين» .

آية الذرة هذه لا نظيرة لها إلا ما في يونس ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١) وعلها أكد شمولاً لمكان «من» الضاربة إلى أعماق الكائنات بذراتها وأصغر منها دون أن يفلت منها فالت، كما ولد «ربك» موقعها من ذلك التأكيد الأكيد!

﴿كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أهو القرآن: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(٢)؟ ولكنه البعض من علم ربك الممكن تعليمه لعباده لا كله. ولكن ذلك العلم يختص بكل الكائنات، لا وحتى الذات المقدسة، فليكن ذلك دونها: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣) حيث الرطب واليابس كناية عن كائنات الممكنات ككلّ دونما استثناء! ﴿... يَعْلَمُ مَا يُسْرُوكَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ وَمَا مِنْ دَاتَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١٦﴾^(٤).

فالكائنات كلها ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ كتاب العلم المطلق والقدرة المطلقة، الصادر منه كل رطب ويابس!:

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾
﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ﴾^(٥):

تري ولماذا ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾؟ ﴿لِيَجْزِيَ...﴾ قضية العدل، و﴿عَلِمِ الْغَيْبِ﴾... ﴿لِيَجْزِيَ﴾ قضية العلم! فالعدل - فقط - لا يكفي

(١) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٤) سورة هود، الآيتان: ٥، ٦.

لضرورة الجزاء لولا العلم بالصالحين والطالحين، والعلم - فقط - لا يكفي لولا العدل، إذا ف ﴿لِيَجْزِيَ...﴾ هي حصيلة العلم المطلق والعدل المطبق على كل الكائنات، فلولا الجزاء فيما ظلم أم جهل، أم هما معاً فأسوأ وأنكى!

ولئن شك الجاهلون المتجاهلون في ذلك الذكر الحكيم ونبيه الرسول الكريم، فهنالك العالمون يصدقون ويوقنون:

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾:

أتري ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم - فقط - علماء أهل الكتاب كما يقال؟ فغيرهم حين لا يرون ﴿الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾... ليس إلا قصوراً في العلم إذ لم يؤتوا، فهم - إذاً - لا حجة عليهم حين يكفرون، كما لا حجة لهم حين يؤمنون، فلا قيمة لإيمانهم دون علم ولا سؤال عن كفرهم دون علم!

﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ليست إلا وسيلة للفتح إلى ذلك الكتاب الخالد المفتوح بمصارعه للأجيال طول الزمان وعرض المكان، وللعلم درجات عدة يرى صاحبه ﴿الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ حسب درجاته ومحاولاته، فقد يكون من علماء الكتاب عارفاً بالبشارات المودوعة في كتابات الوحي بحق القرآن ونبيه ثم يجحد متجاهلاً قاحلاً! .

وقد يكون من جهال المشركين، فلأنه يحاول الحصول على الحق المرام يتحراه فيجد بغيته في ذلك الكتاب لأنه مسرح فصيح بليغ فسيح عن تجوال آيات الله البيّنات، والله يشهد بكلامه لحقه!

ف ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم بوجه عام كافة المكلفين غير القُصّر والمجانين، مهما كان أهل الكتاب وعلماؤهم، وسائر أهل العلم أقوى حجة

من غيرهم تدليلاً على حق القرآن، ولكنه لا يمانع أصل التكليف بحجة العلم، وأقله علم الفطرة - مهما كان أصله - ثم العقل ثم علم الكتاب تقليدياً ثم باجتهاد وكذا سائر العلوم البشرية، والجامع بينها كلها معرفة الله، فالعارف ربه يعرف كلامه قدر ما عرفه.

فما من عاقل يفتح عينه إلى هذه الآيات البينات، أم أذنه وسمعه لسماعها، متدبراً فيها، إلا وسوف يحصل على علم: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ فإنه أفضل الآيات وأخلد المعجزات ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾... (١) مهما كان الأوفر علماً هو أوفر ثقلاً حيث الحجة عنده أكثر، فنكرانه لحق القرآن أنكى وأنكر.

هنا لا بد من علم ما يعرف به الحق من الباطل، ثم وإعماله كما يصح حتى يحصل على الحق المرام، والعلم المبدئي حاصل لكافة المكلفين، ثم عليهم حسب درجاتهم أن يدبروا القول ويتفكروا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢) فلا حجة - إذاً - للأغفال الكفار ما دامت لهم عقول تعقل، ثم لا حجة على القصر والمجانين.

فالذين أوتوا العلم من أهل الكتاب عندهم علم الوحي الكتابي بحق هذا القرآن إضافة إلى سائر العلم فطرياً وعقلياً... (٣).

والذين أوتوا العلم من سواهم، بدراسات علمية لمختلف معلومات الكون، عندهم علم دون الوحي بحق هذا القرآن.

والذين أوتوا العلمين، عندهم علم مضاعف، حيث العلم أياً كان هو مفتاح للتفتح على حظيرة العلم وخزائنه وإنما يعرف أهل الفضل ذووه.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥١.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٣) راجع كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» تجد فيه زهاء ستين بشارة بحق القرآن ورسوله.

والذين حرموا العلمين عندهم علم العقل على ضوء الفطرة، فعندهم وحي الفطرة ومن ثم العقل، بهما يعقلون حق القرآن، فأين - إذاً - اختصاص الحجة بعلماء أهل الكتاب أم أي العلماء؟

ثم ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ هنا يحصر الحق في القرآن كأنه لا حق سواه، أفلا تكون كتابات الوحي بين يديه حقاً يسندون إليها أهلها بحق القرآن؟

أجل! ولكن الحق درجات من أدناها إلى أعلاها، فالقرآن أعلاها، كما ولثباته درجات والقرآن أثبتها خلوداً وأعلاها! ومن ثم هو بين تحرف من المحرفين، وسليم عن أيدي الدس والتحريف والقرآن سليم في أعلاها.

إذاً فذلك الحق الأخير هو الأعلى في مثلث الكمال والخلود وسلامة الأصل، طالما الكتب السماوية الأخرى جامعة لسلبه جمعاً بين النسخ والتحريف، وأنها دون الكمال القمة! إذاً فـ ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ لا سواه كما ﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾: كتاب عزيز حميد: لا يُغلب في معتركات الصدمات، ولا يذم في مذامٍ بمختلف الجهات، ثم وهو يهدي إلى صراط الله ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾!

هؤلاء هم الذين أوتوا العلم حين يستعملونه في الحصول على الحق، ولكن الذين كفروا:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مِّنْكُمْ لَنِفَىٰ خَلْقِ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هنا هم المشركون، دون الكفار من أهل الكتاب، إذ ينكرون هنا المعاد وهو أصل من الأصول الكتابية، فهم أولاء الأغفال يقولون مستهزئين، لإخوانهم: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ

مُتَمَزِّقًا لَأَرْوَاحِكُمْ عَنْ أَجْسَادِكُمْ، وَتَمَزَّقًا لِأَجْسَادِكُمْ إِلَى رِفَاتِكُمْ، وَتَمَزَّقًا لِرِفَاتِكُمْ أَمْ أَجْسَادِكُمْ إِلَى مُخْتَلَفِ الْمَكَانِ مِنْ أَبْدَانِ أَمْ أَيْاً كَانَ.

﴿يُنَبِّئُكُمْ... إِنَّكُمْ لَفِي حَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بعد مثلث من ذلك التمزق البعيد البعيد؟ وهذا باطل ليس صاحبه إلا أن: ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ حين ينقله عن الله ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ حين يقوله، فإنه على أية حال محال لا ينسب إلى الله، ولا إلى العقل، خارج عن وحي الأرض والسماء، مارج من فرية وجنون!

ولكنه لا! لا هنالك فرية ولا جنون ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ تغاضياً عن براهينها الظاهرة، إنهم عاثشون ﴿فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ يوم الدنيا قبل يوم الدين، فـ ﴿الْعَذَابِ﴾ هو عذاب التغافل عن أحكام الفطرة والعقل، تغاضياً عن ظاهر إدراكاتهم وباطن معرفياتهم، وذلك هو ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ حيث الضلال القريب هو المرجو زواله إذ ليس عن عناد ماكن، وأما الذين ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(١) فضلاً لهم بعيد وحتى يموتوا ضللاً، ومن ثم العذاب القريب!

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنَهُمْ خَسِيفٌ﴾
﴿الْأَرْضِ أَوْ تُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾:

أترى ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ هو أفق السماء والأرض؟ وصحيح التعبير عنه «ما تحت أرجلهم من الأرض وما فوقهم من السماء»!

أم «ما بين أيديهم وما خلفهم» من كل من السماء والأرض أماماً وخلفاً؟ وتبقى الجهتان الأخريان يميناً وشمالاً، حيث الأربع هي الأفق المشهود من السماء والأرض!

(١) سورة النمل، الآية: ١٤.

أم لا هذا ولا ذاك، وإنما هي تلميحاً لطيفة عميقة الجذور، بطيئة الظهور لكروية الأرض ودورية السماء، ف﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من الأرض هو الأفق المشهود الدائري لكل شاهد في أكناف الأرض، ثم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ هو الأفق والآفاق غير المشهودة، فليس ﴿خَلْفَهُمْ﴾ إلا خلف الأرض، وراء الأفق الظاهر، إذاً فليست الأرض مسطحة، بل هي مدورة مكورة لها من كل جانب منها ظهر وجاه خلف.

ثم و﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من السماء هو الأفق الظاهر منها لكل ناظر إليها في آفاق الأرض، ف﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ هو الأفق غير الظاهر فليكن خلف الأرض - أياً كان - أرض وسماء، أرض تحيط بها السماء من كافة مناكبها، فهي - إذاً - في السماء معلقة كسائر نجومها ومصايحها!

وترى كيف استفهام الإنكار التنديد بمن كانوا يعيشون الزمن الذي كانت كروية الأرض فيه كفرةً وخلافاً للإحساس والعلم^(١)؟! ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ . . . أجل

(١) في زوايا التاريخ ليست الأرض كروية فقد كان أول تصور للإنسان في شكل الأرض أنها بساط عظيم هائل لا نهاية لعمقه يعتمد عليها قيو السماء كالسقف المرفوع، ولما تقدم في الملاحة وقطع البحار الواسعة أخذ يتصور أن الأرض سابعة في أوقيانوس من الماء لا نهاية له وكان ذلك خطوة لتصور أن الأرض محوطة بدائرة وترتكز على جذور طويلة مثل الشجرة، وساد كذلك اعتقاد قديم بأن الأرض بساط مستدير يقوم على اثني عشر عموداً، ولكن على أي شيء تقوم هذه العمدة؟ فيجيب قساوسة في أوروبا في القرون الوسطى بأنها تقوم على الضحايا البريئة من أهل الفضيلة والتقوى الذين لولا وجودهم هنالك لدكت الأرض وذهبت هباءً في الفضاء، وقد كان (اناكسيماندر) إلا غريقي في القرن السادس قبل الميلاد يرى أن الأرض كالأسطوانة وأن قطرها يساوي ثلاثة أميال ارتفاعها، وأنها سابعة في مركز القبو السماوي وأنه لم يسكن منها إلا وجهها الأعلى، وتوجد أوروبا في النصف الشمالي وليبيا أو إفريقيا وآسيا الجنوبي، ثم جاء من بعده بقليل الفيلسوف أفلاطون وقال: إن الأرض مكعبة، لأنه كان يعتقد أن المكعب أكمل الأشكال الهندسية فيجب أن يكون موطناً لأفضل الكائنات وهو الإنسان، وأنه قبل أن يقول علماء الغرب بكروية الأرض سبقهم إلى ذلك من عهد بعيد علماء الشرق حيث تخيلوا أن الأرض كروية وتنتهي شمالاً وجنوباً بجبال عظيمة الارتفاع، ومنذ ١٥٠٠ سادت في الغرب نظرية تقول: إن الأرض بيضاوية وإنها سابعة في الأثير.

لم يروا، وأنى لهم أن يروا، والعلم قاصر، والجهل قاهر، والوحي عنهم به منقطع؟! .

عله لأن وحي الكتاب كان يشير إلى هذه الملحمة العلمية، ومهما كانوا هم مشركين ولكننا الاختلاط بالكتابين يجعلهم يعرفون أمثال هذه الملاحم التي تهمهم علمياً مهما لا تهمهم عقائدياً، ثم وهذه تحريضة علمية للأجيال أن يروا رؤية عينية أو علمية ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فمثلها كمثل قوله تعالى :

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١) .

ثم وكان لهم قبل وحيه أو اكتشافه علمياً أن يروه تأملاً وتعملاً للضرورة الملموسة لهم أن الأرض ليست مسطحة دون خلف كظورها، لاختلاف الآفاق ليلاً ونهاراً!

وهناك آيات أخرى تؤشر إلى دوران الأرض وكرويتها تأتي على تفسيراتها بطياتها، وآيتنا هذه ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ . . . هي الوحيدة بين رفاقها تدليلاً كالصريح على كروية الأرض وقد تزاملتها آية التكوير (٢) .

وقال الإدريسي وهو أحد الجغرافيين من العرب في القرن الحادي عشر للميلاد: إن نصف هذه الأرض البيضاوية مغمور في الماء وذلك ليحل مشكلة النصف المجهول، وكان بطليموس في القرن الثاني للميلاد وهو من أشهر الفلكيين يرى أن الأرض مثل كرة مفرطحة من جانبيها كحبة القوطة، وجاء (ابيانوس) في ١٥٢٠ فقال: إنها تشبه القلب، وصادفت نظريته ميلاً في قلوب قساوسة الدين في أوروبا فأيدوه قائلين إنها قلب الله، وإن هذه

(١) سورة يونس، الآية: ١٠١ .

(٢) وهي ﴿بُكُورُ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ وَيُكُورُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ . . .﴾ [الرُّم: ٥٠] راجع (٣٩: ٥) .

الكرة القلبية تشبه أرض المكتشف العظيم (كولمبوس) حيث تصورها مثل الكمثرى، فالنصف الكروي هو الشرقي والنصف المستطيل هو الغربي، والتمدد الذي أوجده فيه هو (العلم الجديد) الذي اكتشفه، وأما (دانت) فقد تصورها قبل ذلك بقرن في مثل هذا الشكل جاعلاً هذا التمدد لحجمه الذي صورته فكانت جبال المطهر تحت خط الاستواء بثلاثين درجة، بينما جعل (أورشليم) أو (ريون) في الجهة المقابلة ليحفظ التوازن.

وظهر في ١٨١٩ في (سنت لوز) بالولايات المتحدة القبطان (جون كليفز سيمس) بنظرية عجيبة تعرف باسمه أو بنظرية الكرات المتداخلة وهي أن الأرض أو أي كوكب يتكون من عدة من الكرات المتلاصقة والمشاركة في مركز واحد وبين كل كرة والتي تليها فاصل مملوء بالهواء، وعند القطبين فتحة كبيرة في جميع هذه الكرات، ويرى أن الأرض تتركب من خمس طبقات أو كرات متداخلة وأن فيها فتحتين كبيرتين عند القطبين يبلغ قطر الشمالية أربعة آلاف ميل وقطر الجنوبية ستة آلاف ميل وأن سطحي كل كرة أو طبقة مسكونان فتوجد سكان في الأرض على السطوح المحدوبة والسطوح المقعرة، وطلب إلى المجلس النيابي بالولايات المتحدة أن يجهزه بسفيتين ليسافر إلى أحد القطبين ويدخل من الفتحة الموجودة هنالك ليدخل إلى سكان السطح المقعر الذي نعيش فوقه، وطبع المارشال (جاردنر) في ١٩١٣ م كتاباً في الولايات المتحدة عنوانه: سياحة إلى داخل الأرض - ذهب فيه إلى أن الأرض مجوفة ويبلغ سمك طبقتها التي نعيش عليها ثمانمائة ميل وإنها مفتوحة عند القطبين ويوجد في داخلها شمس ويبلغ قطر كل فتحة قطبية ألفاً وأربعمائة ميل.

وقال (مورية) في كتابه (علم الفلك اليوم) إن الأرض على شكل هرم، وهو يرى أن نظريته تبين اختلاف أنصاف أقطارها وتحل كثيراً من النقط المعضلة في هذا الصدد التي لا يمكن أن تفسرها أية نظرية أخرى، وهذه